المجلة العلمية لكلية الآداب مج 11، ع 2 (2022)، 39 - 64
المجلة العلمية لكلية الآداب
https://artdau.journals.ekb.eg/

نصارى الأندلس والسفارات والوفود

منى علي إبراهيم المر
طالبة ماجستير – قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة دمياط

المستخلص

يتناول هذا البحث المعنون بـ "نصارى الأندلس وحركة الاسترداد الإسبانية" وتناول التعريف بحركة الاسترداد والعوامل التي ساعدت عليها ودور النصارى الأندلس في هذه الحركة وموقفهم منها والمدن التي سقطت التي كان لنصارى الأندلس دور في سقوطها والنتائج التي ترتبت علي سقوط هذه المدن، حيث اتسمت العلاقات الإسلامية مع الممالك النصرانية في شمال شبه جزيرة أيبيريا بالعداء المستمر، حيث كانت الممالك النصرانية تسعى بشكل مستمر للعمل على استرداد الأراضي التي فتحها المسلمون وأزاحوا الحكم النصراني عنها، ومن هنا دارت حلقات مستمرة من الحروب بين الجانبين. كان لنصارى الأندلس المعاهدين (المستعربين) دور فعال فى العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية بالأندلس خاصة العلاقات الدبلوماسية. وتبادلت السفارات والوفود بين الأندلس الإسلامية والممالك النصرانية في الشمال لعقد صلح بعد حرب قامت بين الطرفين وعقد الهدنة بعد الحرب، أو كانت لتأكيد سلم وطاعة أو طلب مساعدة وكان الجانب الذي يطلب السلم والطاعة أو المساعدة علي حسب رجحان كفة ميزان الجانب.

الكلمات المفتاحية:
نصارى الأندلس - حركة الاسترداد الإسبانية - تبادل السفارات والوفود - الممالك النصرانية.

تاريخ المقالة:
تاريخ اســـــــتلام المقالـــــة: 24 نوفمبر 2021
تاريخ استلام النسخة النهائية: 20 ديسمبر 2021
تاريخ قبـــــول المقالـــــــة: 13 يناير 2022

Scientific Journal of Faculty of Arts 11 (2) 2022, 39 - 64
المجلة العلمية لكلية الآداب
https://artdau.journals.ekb.eg/

Christians of Andalusia, embassies and delegations

Mona Ali Ibrahim Al Murr
Master's Student- History Department - Faculty of Arts - Damietta University

Abstract

This research, entitled "The Christians of Andalusia and the Spanish Recovery Movement", discussed the introduction of the recovery movement and the factors that helped it and the role of the Andalusian Christians in this movement and their attitude towards it and the cities that fell that the Supporters of Andalusia played a role in its fall and the consequences of the fall of these cities, where Islamic relations with the Christian kingdoms in the north of the Iberian Peninsula were characterized by constant hostility where the Christian kingdoms were constantly seeking to work to recover the lands opened by Muslims and removed Christian rule from them, Hence, there have been continuous episodes of wars between the two sides. The christian and Andalusian supporters (Arabs) were instrumental in the foreign relations of the Islamic State in Andalusia, especially diplomatic relations. Embassies and delegations exchanged between The Islamic Andalusia and the Christian kingdoms in the north to hold a peace after a war between the two parties and a truce after the war, or it was to confirm peace, obedience or request for help and the side that demanded peace, obedience or assistance was likely to prevail on the balance of the side.

Keywords: Christians of Andalusia - Spanish Reconquista - Exchange of embassies and delegations - Christian kingdoms.

Article history:
Received 24 November 2021
Received in revised form 20 December 2021
Accepted 13 January 2022

1. مقدمة

من العصور المهمة في التاريخ عامة، والتاريخ الإسلامي خاصة الحكم الإسلامي للأندلس الذي غيَّر خريطة العالم الإسلامي منذ قيامه حتى سقوطه، وعندما فتح المسلمون بلاد الأندلس تركوا لنصاراها حرية ديانتهم ومعابدهم، وارتفعت مكانتهم الإدارية والاجتماعية والسياسية في ظل الحكم الإسلامي، حتى قاموا بدور كبير في العلاقات الدبلوماسية التي قامت بين الأندلس الإسلامية وممالك النصارى بالشمال في فترات السلم بين الجانبين، فكانوا سفراء ومترجمين للسفارات والوفود المتبادلة بين الجانبين.

2. أهداف الدراسة

1- رصد ما كان لنصارى الأندلس من مكانة في المجتمع الأندلسي.
2- التعرف على أسباب تبادل السفارات والوفود الأندلس الإسلامية وممالك الشمال النصرانية.
3- التعرف على دور نصارى الأندلس في السفارات والوفود المتبادلة بين الجانبين.
4- التعرف على أثر هذا الدور في العلاقات بين الجانبين.

3. أهمية الموضوع وأسباب اختياره

ترجع أهمية الموضوع إلى عدة أسباب منها: دور نصارى الأندلس في العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس الإسلامية وممالك الشمال النصرانية، والعوامل التي ساهمت على قيامهم بدور في السفارات والوفود المتبادلة بين الجانبين، وإظهار مكانتهم الاجتماعية والإدارية، وأثر دورهم في العلاقات بين الجانبين.

4. تساؤلات الدراسة

1- ما الأسباب والعوامل التي دفعت نصارى الأندلس للقيام بدور في العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس الإسلامية والممالك النصرانية في الشمال؟
2- ما أثر دورهم في الجانبين؟
3- ما العوامل التي أدت لنشاط العلاقات الدبلوماسية بين الجانبين؟

5. منهج الدراسة

المنهج التاريخي لتتبع الأحداث، إضافة إلى المنهج التحليلي والاستقرائي.

6. صعوبات الدراسة

تكمن في أن الموضوع لا تعالجه المصادر التاريخية بشكل مباشر، وإنما ورد في شكل إشارات عن النصارى المقيمين مع

المسلمين في بلاد الأندلس، ثم جمعها وصياغتها لرصد دور النصارى في العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس الإسلامية والممالك النصرانية بالشمال.

7. دوافع تبادل السفارات والوفود

اتسمت العلاقات الإسلامية مع الممالك النصرانية في شمال شبه جزيرة أيبيريا بالعداء المستمر، حيث كانت الممالك النصرانية تسعى بشكل مستمر للعمل علي استرداد الأراضي التي فتحها المسلمون وأزاحوا الحكم النصراني عنها، ومن هنا دارت حلقات مستمرة من الحروب بين الجانبين، ولكن كان هناك فترات من السلم سعت فيها كل من السلطتين لإقامة علاقات دبلوماسية تبادلت فيها السفارات[1] والوفود[2]، وتعرف السفارة بأنها "بأنها العمل الذى يقوم به السفير من وفاق أو صلاح بين طرفين بعد إزالة أسباب الخلاف الناشئ، وإرجاع الأمور إلى نصابها الصحيح أو إدامتها وتطويرها بما ينسجم مع مبادئ الصلح، ويمكن أن تكون السفارة هي المكان الذى يقيم فيه السفير أو الوفد"[3]، وكان لابد من وجود عوامل ودوافع ساعدت على نشاط العمل الدبلوماسي وتبادل السفارات والوفود بين الجانبين، ومن هذه الدوافع:

أ) ظهور ممالك الشمال النصرانية كقوة دولية

نشأت ممالك الشمال النصراني بشيء من الصمت لم يشعر به العرب المسلمون في الأندلس إلى جانب الدولة العربية الإسلامية هناك، ولم يتحسسوا نموها في سنواتها الأولي حتى انتظمت وظهرت للوجود كقوة دولية لها القدرة علي العدوان والمقاومة وهذه الممالك:

1) مملكة ليون Leon:

تقع شمال شبه الجزيرة الأيبيرية، وكانت تسمي في بدايتها جليقية Galiciaوأشتوريس Asturias[4] التي هرب إليها القائد القوطي بلايو

---

(1) السفارة لغويا هى من " سفر بينهم يسفر سفراً، وسِفارة بالكسر أصلح، والسفير هو الرسول المصلح بين القوم، والسِفر بالكسر هو الكتاب وقيل الكتاب الكبير والجمع أسفار. انظر ابن منظور: لسان العرب، ص2025- 2026.

(2) الوفد لغويا هو من وفد فلان بعد وفادة إذا خرج إلى ملك أو امير، وفد فلان على الأمير أى ورد رسولاً أو أوفدته أنا إلى الأمير أى أرسلته، وكلمة وفد جمع، أما وفود فهى جمع وافد. انظر ابن منظور: المصدر السابق، ص4881.

(3) إبراهيم محمد آل مصطفى: سفارات الأندلس إلى ممالك أوربا المسيحية الكاثولكية (138-422هـ /755-1031م)، مكتبة القافة الدينية ـ القاهرة، طـ1، 1434هـ/2013م، ص40.

(4) أشتوريس Asturias في الركن الشمالي الغربي لشبه جزيرة أيبيريا، وهي شرق جليقية، علي القسم الأوسط من خليج بسكونية، وتحدها من الجنوب جبال كنتبرية،

Playo[1] وهي أول مملكة نصرانية تقوم في الشمال بعد انتهاء الفتح الإسلامي للأندلس.

قام الملك ألفونسو الثالث Alfonso III (251 – 298هـ/866–910م) بتقسيم المملكة بين أبنائه الثلاثة بعد ثورتهم عليه سنة 297 هـ/909م[2]، وتولى عرش المملكة بعد وفاته ولي عهده غرسية Garcia (297–301هـ/910–914م)، وتولى بعد ه العرش أردون الثاني Ardonio II (301–312هـ/914–924م) بنقل العاصمة إلى ليون لموقعها المتوسط بين جليقية وأشتوريس، وسميت منذ ذلك الوقت بمملكة ليون[3]، وكانت ليون أكثر الممالك النصرانية الوافدة بسفاراتها علي الأندلس.

2) مملكة نبرة (نافار) Navara:

تقع شمالي الأندلس في المنطقة الجنوبية من جبال ألبرتات في بلاد البشكنس (بسكايه Biscays) الجبلية، وكانت في البداية إمارة ضعيفة خاضعة لأمراء أشتوريس[4]، وعاصمتها بمبلونة Bamplona[5] دخلت نافار مرحلة جديدة وهي مرحلة التحول من إمارة إلي مملكة في عهد شانجه بن غرسية Changah Garcis (293 –314هـ /926–955م) فهو أول من لقب ملكاً من أمرائها، ويرجع إليه تثبيت

وهي ذات طبيعة جميلة متنوعة تخترقها الجبال والتلال والآكام العالية، والوديان العميقة بلا انقطاع. انظر: محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ـ دراسة تاريخية أثرية، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ط 2، 1417هـ/1997م، ص361.

(1) كان ابن أمير قوطي، وكان رهينة عند العرب المسلمين عند فتحهم الأندلس، هرب من قرطبة سنة 98ه/718م في السنة السادسة من الفتح الإسلامي واعتصم بركن شمال شبه الجزيرة الأيبيرية يسمي صخرة بلاي بأشتوريس، وتزعم النصاري وتوسع شيئاً فشيئاً حتي بسط سلطانه على إقليم أشتوريس وكنتبرية وجزء من جليقية. انظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص28؛ مؤنس: فجر الأندلس، ص273.

(2) ابن الخطيب: أعمال، جـ 2، ص 279؛ رجب عبدالعليم: العلاقات، ص 193.

(3) الحجي: التاريخ الأندلسي، ص271؛ Livermore: Ahistory of spain,,P 69,70.

(4) القلقشندي: صبح، ص261.

(5) بمبلونة Bamplona تقع شمالي الأندلس عند المداخل الغربية من جبال ألبرتات وتبعد عن سرقسطة حوالي مئه وخمسة وعشرين ميلاً، وتقع بين جبال شامخة وشعاب غامضة قليلة الخيرات. انظر: أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماه ـ ت: 732هـ/1334م) تقويم البلدان، دار صادر– بيروت، د.ت، ص 180–181؛ الحميري: الروض المعطار، ص104.

دعائمها بشكل رسمي، وتولى حكمها ملوك من نسله[1]، فكان له الفضل في ظهور نافار كقوة دولية شاركت في العلاقات الدبلوماسية مع الجنوب الإسلامي.

3) مملكة قشتالة Castilia:

كانت إحدي ولايات مملكة ليون الشرقية، وظهرت نتيجة توسع مملكة ليون جنوباً وشرقاً في عهد ألفونسو الثالث، وعمرت بنبلاء وأساقفة من الشمال[2]، وتحولت قشتالة إلى إمارة مستقلة بعدما انتهز الكونت فرنان جونثالث Fernan Gonzalez الصراع والحرب الأهلية التي نشبت بين ابناء أردون الثاني علي عرش ليون ووحد قشتالة، وهو أول من تسمى ملك قشتالة[3]، وبذلك أصبحت قشتالة ذات كيان دولي منفصل.

ظهرت هذه الممالك كقوة دولية تزامناً مع قيام الخلافة الأموية بالأندلس، وكان طبيعياً تماماً أن تكون معظم السفارات الآتية إلى الخلافة من هذه الممالك الشمالية كى تضمن مصالحها ورعايتها، والجدير بالذكر أن العلاقات الدبلوماسية لم تتسم بالنضج إلا ابتداءً من عصر الخلافة، ففى عصر الإمارة الأموية (138-316هـ/ 755–928م) حدثت بعض السفارات المتناثرة كالصلح الذى فرضه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث على جليقية، بعد أن غزاها عام 208هـ/823م بغزوته المعروفة ألبة القلاع[4] وكان من بنود هذا الصلح إطلاق سراح جميع الأسرى من الأندلس[5].

ب) فى عصر الخلافة الأموية (316 -422هـ/928-1030م) :

استطاع الخليفة الناصر (316-350هـ/928 - 961م) إقرار الأمن والاستقرار السياسى والعسكرى للأندلس وإعادة وحدتها إضافة إلى جهاده ضد الممالك النصرانية الشمالية وغزواته إليها، فيقول المقرى: "أنه كان يحب الجهاد والغزو، وكان يقود المعارك بنفسه[6] "وقد أخضع الناصر هذه الممالك بفضل قوته فحقق بذلك توازناً سياسياً فى شبه الجزيرة الإيبرية، حتى كثرت الوفود والسفارات إلى قرطبة آتية من كل جانب تخطب وده، وترغب فى السلام معه[7] فكانت قرطبة فى عهد

---

(1) الحجي: التاريخ الأندلسي، ص276.

(2) رجب عبد العليم: العلاقات، ص 203–204.

(3) ابن الخطيب: أعمال: جـ2، ص 283؛ رجب عبد العليم: المرجع السابق، ص206؛ Livermore,op,cit,P 92.

(4) ابن عذاري: البيان: جـ 2، ص 81 – 82.

(5) المقري: نفح: جـ1، ص 344–345.

(6) المقري: نفح: جـ1، ص 344.

(7) ابن خلدون: ا لعبر: جـ4، ص 183.

الخليفة الناصر صورة حقيقية لمظاهر ازدهار وبذخ ذلك العصر، فقد كانت من أكبر وأجمل العواصم آنذاك[1] فكانت مركز الصدارة مركز جاذبية السفارات.

ولما اعتلى الحكم المستنصر الحكم بعد أبيه عمل على ترسيخ سلطانه، وسار على نهج أبيه ولم يتغير شيئاً سوى شخص الناصر[2]، وتجدر الإشارة إلى أن حركة السفارات والوفود كانت تنشط في فترات السلم بين الجانبين فكانت الصراعات العسكرية هي الطاغية في العلاقات بين الأندلس وممالك الشمال، فكانت هذه الممالك تجنح للسلم عندما تكون عاجزة عن القيام بأي عدوان عسكري تجاه الدولة الإسلامية في الأندلس، وكانت دائماً ما تنقض عهودها واتفقاتها إذا وجدت الفرصة سانحة[3].

وفى عهد الأسرة العامرية ظلت الدولة الإسلامية المتفوقة عسكرياً علي ممالك الشمال، فلم يخسر الحاجب المنصور بن أبى عامر معركة واحدة من معاركه التي خاضها ضد الشمال وكانت في حدود حملتين كل عام يقودها بنفسه[4] وظلت العلاقات في عهد ابنه الحاجب عبد الملك المظفر تتراوح ما بين الصراع الحربي والوفاق المشوب بالحذر، فقد غزا ممالك الشمال سبع غزوات في مدة حمكه[5] محافظاً على العلاقات الدبلوماسية وقت السلم فاحتكموا إليه في نزاعاتهم[6]، هذه السيطرة والقوة التي بسطتها الأندلس على الشمال كانت سبباً مباشراً في نشاط العلاقات الدبلوماسية وتبادل السفارات والوفود التي نصت على صلح أو هدنة وسلم أو احتكام ملوك الشمال للخلافة الإسلامية لتحل مشاكلهم، أما في عهد الفتنة القرطبية فقد تبدل الحال وانقلبت الموازيين فلجأ أطراف الفتنة للشمال طالبين مساعدتهم، فتحولت السفارات والوفود من الأندلس إلى الشمال النصراني.

ج) من عصر ملوك الطوائف حتى عصر الموحدين (422هـ - 635هـ /1031-1238م) :

لما سقطت الخلافة الأموية 422هـ/1013م[7] وقسمت الأندلس إلى دويلات وممالك يحكم كلاً منها حاكم مستقل محاولاً التوسع على

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 107 ؛ السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم بالأندلس، ص 181.
(2) المقري: المصدر السابق، ص 382.
(3) بيضون: الدولة العربية، ص 312.
(4) ابن خلدون: العبر: جـ4، ص 190.
(5) ابن عذاري: البيان جـ2، ص 297.
(6) ابن عذاري: المصدر السابق، ص302.
(7) ابن عذاري: البيان: جـ2، ص 411 ؛ المقري: نفح جـ1، ص43.

حساب الآخر كانت ممالك الشمال في القرن الخامس الهجري/ السابع الميلادي اتحدت وأصبحت أقوى من هذه الممالك المتفرقة التي تسارع ملوكها إلى ملوك الشمال للاستعانة بهم في حروبهم ونزاعاتهم ضد بعضهم[1]، وكان هذا سبباً مباشراً في انطلاق السفارات والوفود من ملوك الطوائف إلى ملوك الشمال لطلب المساعدة، وقد استغل ملوك الشمال ذلك وفرضوا عليهم الجزية وتعسفوا في مطالبهم وإرهاقهم فوق طاقتهم[2] فكان ذلك سبباً أيضاً في سفارات كثيرة من قِبَل ملوك الطوائف لإقرار الطاعة ودفع الجزية أو من قِبَل ملوك الشمال مطالبين بالجزية، وهناك أمثلة عديدة على ذلك[3].

أما في عصري: المرابطين والموحدين، فقد سيطر الطابع الحربى طوال فترات حكمهم للأندلس، خاصه بعد سقوط طليطلة عام 478هـ/1085م[4] واستطاع المرابطون الحد من الخطر النصراني الشمالي، وتوقفوا عليه أمد غير يسير، حتى سقوط سرقسطة 512عام هـ/118م[5]، كذلك الموحدون قضوا معظم فتراتهم فى حروب مع نصارى الشمال الذين استطاعوا بفضل جيشهم المنظم وأسطولهم القوى زحف الممالك المسيحية على المدن الأندلسية وانتصارهم العظيم فى معركة الأرك عام 591هـ/1195م[6] التى كان سبب وقوعها هجوم ممالك الشمال على المدن الأندلسية ونقضهم للمعاهدات التى أبرموها مع الموحدين، ولاشك في أن كثرة الحروب والهدنة منها كانت سبباً فى نشاط العلاقات الدبلوماسية وتبادل السفارات والوفود إما لعقد صلح بعد حرب أو توقيع سلم وهدنة لعدم الدخول فى حرب وكثيراً ما كان ينقضها ملوك النصارى.

8. عوامل مشاركة النصارى المعاهدين فى السفارات والوفود المتبادلة بين الأندلس الإسلامية والممالك النصرانية

كان لنصارى الأندلس المعاهدين (المستعربين) دور فعال فى العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية بالأندلس خاصة العلاقات الدبلوماسية، فكان المستعربون أعضاء فى أغلب السفارات والوفود المتبادلة بين الأندلس الإسلامية والشمال المسيحى ومن العوامل التى ساعدتهم على ذلك:

---

(1) ابن الخطيب: أعمال: جـ2، ص 139 ؛ ابن خلدون: العبر: جـ4، ص 332.
(2) المراكشي: المعجب، ص 43؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص 232.
(3) وعلي سبيل المثال انظر: ابن بلقين: مذكراته، ص 123: 125.
(4) ابن بسام: الذخيرة: ق 4، ص 168.
(5) ابن أبى زرع: روض القرطاس ص163.
(6) المراكشى: المعجب، ص282 ؛ المقرى: نفح: جـ1، ص443.

أ) إجازة الشرع لاستخدامهم :

فقد أجاز الشرع الإسلامى الاستعانة بأهل الذمة واستعمالهم فى بعض الوظائف[1] كذلك الآيات الدالة على حسن معاملة أهل الذمة في القرآن كثيرة فيقول الله عز وجل" **لج لح لخ لم له مج مح مخ مم**"[2]، وقوله "**ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي**"[3] كذلك نصت أحاديث نبوية على حسن معاملة أهل الذمة مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "من قتل معاهداً لم يُرِحْ رائحة الجنة، وإن ريحها على مسيرة أربعين عاماً"[4].

ب) إجادتهم للّغة العربية واللغات الأخري :

فمن العوامل الرئيسة التى ساعدت على الدور الفعال الذى قام به نصارى الأندلس فى السفارات كمترجمين للسفارات الوافدة إلى الأندلس وكسفراء لسفارات خارجة من الأندلس إلى الشمال المسيحى هى إجادتهم للّغة العربية واللغة اللاتينية[5] فقد قام نصارى الأندلس بدور كبير فى حركة الترجمة من العربية إلي اللاتينية، وكذلك اختار حكام المسلمين خاصة فى عصر الخلافة نصاري الأندلس للمشاركة فى السفارات والوفود لتمرسهم على أرفع أسلوب فالدبلوماسية فيقول جاكسان أنهم حذقوا الحوار السياسى والدبلوماسية فى العلاقات الدولية[6].

ج) مكانتهم الإدارية والسياسية :

تحسنت مكانة نصارى الأندلس وارتفعت مكانتهم بشكل كبير فى عصرى الخلافة الأموية وملوك الطوائف ونالوا قدر كبير من الاحترام، فيذكر كاجيجاس أن الخليفة الناصر أشرك النصارى فى تسيير شئون دولته وعينهم فى مناصب هامة وحولهم إلى عناصر فاعلة فى دووابن الخلافة[7]، فقرب الخليفة الناصر وابنه الحكم المستنصر أسقف إلبيرة ربيع بن زيد، وقام ببعض المهام الدبلوماسية لدى إمبراطور القسطنطينية

---

(1) الماوردى: الأحكام السلطانية، ص83-86.

(2) سورة الأنفال، الآية 61.

(3) سورة الممتحنة، الآية 8.

(4) البخارى (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجحفى ـ ت 257 هـ /870م) صحيح البخارى، تحقيق مصطفى ديب البغا- كتاب الجزية، دار بن كثير ـ بيروت، ط3، 1407هـ/1987م، ج3، ص1155، حديث رقم 2995.

(5) DuffourcqLa Vie Quotidienne,,p,139: 140.

(6) JACKSAN GABRIA, the Making of Medival spain of European civilization library California,1970,p30.

(7) cagigas,Los Mozrabes,p 60-464.

وإمبراطور ألمانيا وكان محظياً عندهم[1] كما اعتمد الخليفة الحكم المستنصر على النصارى المستعربين بشكل رئيس فى كل سفاراته والوفود الآتية إليه من ممالك الشمال المسيحى، حتى فى عهد الحاجب المنصور بن أبى عامر أبقى عليهم فى أماكنهم إذ سمح لهم بالاستراحة يوم الأحد وأيام أعيادهم[2] وفى عهد ابنه الحاجب عبد الملك المظفر قرّب إليه النصارى المستعربين ورفع مكانتهم فلم يكن يحس بالمتعة إلا رفقة ضباطه وأكثرهم مستعربون[3].

وكذلك فى عهد ملوك الطوائف تحسنت مكانتهم خاصة بعد سياسة التقرب إلى نصارى الشمال التى اتبعها ملوك الطوائف، وعلى سبيل المثال يذكر سيمونيه أن مستعربى قرطبة تحسن وضعهم بسبب حضور فرقة عسكرية من قشتالة وقطلونية قصد المشاركة فى الحروب بين ملوك الطوائف، وقد ساهمت الانتصارات التى حققتها هذه الفرقة في تحسن وضع المستعربين[4]، كما استخدم محمد بن جهور حاكم قرطبة (435–457هـ / 1043–1065م) فرنان غومس القشتالى Elconde Fernan Gomaz مما سمح بعودة بعض المستعربين الذين غادروا قرطبة خلال الفتنة[5] كما ندب بن زيدون الشاعر النصرانى المشهور للنظر على أهل الذمة فى بعض الأمور المقترحة.

كما تمتع النصارى المعاهدون بمكانة خاصة فى مملكة إشبيلية، فقد علا نجم ششندو المستعرب الذى كان وزيراً للمعتضد بن عباد (433-461هـ/1041-1069م)[6] ضمن مقربى المعتمد بن عباد (461-484هـ/ 1069-1091م) ومن مد أخيه[7]، ومن شعره المديح له:

اللهُ أكبُــر أنــت بــدرٌ طــالعُ والنفــع دُجــن والكمــاةُ نجــومُ

والجـــودُ أفـــلاكٌ أنـــت وعـــدوُك الغـــالى وهـــن
مـــــــــــــــديُرها رجـــــــــــــــومُ[8]

(1) المقرى: نفح: حـ1، ص568؛ كحيلة: نصارى الأندلس، ص158؛ ليفي بروفنسال: تاريخ اسبانيا الإسلامية، ص195.

(2) Simonet,Historia dele mozarabes, p 629-630.

(3) levy provencal,op.cit,t3,p278.

(4) Simonit,op.cit,P647,648.

(5) ابن الآبار: إعتاب الكتاب، ص 212–213.

(6) ابن بسام: الذخيرة: ق 3، ص 44.

(7) ابن سعيد: المغرب: جـ1، ص296.

(8) المقري: نفح: جـ1، ص 522.

وكذلك يدل حضور نصارى سرقسطة لعقد الزواج والمصاهرة بين ملكين من ملوك الشمال الذى أقام حفله المنذر بن يحيى حاكم مملكة سرقسطة (403-412هـ/1012-1021)[1] وقد نظم ابن دراج الأندلس ت (421هـ/1030م) قصيدته المشهورة مباركاً سياسة التسامح الحكيمة التى انتهجها المنذر، مقدماً تهنئته على إحلال السلام والوئام، وجاء فيها:

وهنـــاك أخلصـــت النفـــوسُ ... عقـدَ العهـودِ وشـدَّت الأنظـار وأكـــــــــــــــدت
وتواصـــلَ البعـــداءُ منـــك ... وصُـــلت بهـــا الأرحـــامُ بطاعـــــــــــــةٍ ... والأصـــــــــــــهار
فعقـــدتَ فـــى عنـــقٍ ... دانـــتَ بهـــا الرهبـــانُ الضـــــلالِ مواثقـــــاً ... والأحبـــــــــــــارُ
وكأنمـــا كانـــت عقـــودُ ... ســـكنت بهـــا الأوحـــالُ تمـــــــــــــائمٍ ... والأذعـــــــــــــارُ
أحييـت منهـا ملـكَ رذميـر ... مشـــت الـــدهورُ عليـــه وقـــــــــــــد ... والأعصـــــــــــــأر[2]

كذلك علا شأن السيد القمبيطور(فى عهد المؤتمن بن هود[3] كما تحسنت وضعية نصارى مملكة دانية والجزائر الشرقية خاصة فى عهد إقبال الدولة على بن مجاهد العامرى (436- 468هـ/1044-1075م) الذى تميز عصره بالعلاقات الحسنة مع ملوك النصارى والتسامح المطلق مع نصارى مملكته، وربما كان ذلك راجعاً إلى نشأته بين نصارى سيرديبنيا خلال أسره الطويل واعتناقه دينهم قبل عودته للإسلام وديارهم[4].

أما فى عصر المرابطين والموحدين فبالرغم من استمرار روح التسامح والحرية التى تمتع بها نصارى الأندلس إلا أنه قلَّ استخدامهم فى مناصب إدارية وسياسية مقارنة بعصرى الخلافة والطوائف، ولعل سبب ذلك هو انتشار روح الحرب والجهاد فى هذين العصرين بين المسلمين والنصارى بشبه الجزيرة الإيبيرية وسقوط مدن كثيرة فى يد نصارى الشمال كسقوط طليطلة في قبضة مملكة قشتالة سنة 478هـ/1085م

---

(1) ابن بسام: الذخيرة: ق1: م1، ص 181–182 ؛ ابن عذاري: البيان: جـ2، ص 426–427.

(2) ابن دراج القسطلى ت (421هـ/1030م) - ديوان بن دراج القسطلى، تحقيق محمود على مكى، منشورات المكتب الإسلامى بدمشق، طـ1، 1381هـ/1961م، ص155.

(3) ابن بسام: الذخيرة: ق3، ص95.

(4) ابن بسام: الذخيرة: ق4، ص323 ؛ رجب عبد العليم : العلاقات، ص356.

وموقعة الزلاقة سنة 479هـ/1086م، وتغريبهم إثر غزوة ألفونسو المحارب ملك أراجون على غرناطة سنة 519هـ/ 1125م واستدعاء نصاراها له وإقناعه المجئ بهذه الغزوة للتخلص من الحكم الإسلامى، إلا أنهم كان لهم نشاط كبير فى المجال العسكرى والاقتصادى[1].

9. السفارات والوفود بين الأندلس الإسلامية والممالك النصرانية في الشمال

تبادلت السفارات والوفود بين الأندلس الإسلامية والممالك النصرانية في الشمال لعقد صلح بعد حرب قامت بين الطرفين وعقد الهدنة بعد الحرب، أو كانت لتأكيد سلم و طاعة أو طلب مساعدة وكان الجانب الذي يطلب السلم والطاعة أو المساعدة على حسب رجحان كفة ميزان الجانب، ففي عصر الخلافة الأموية كان ملوك الشمال النصراني هم من يأتوا بسفاراتهم ليطلبوا سلم ويؤكدوا طاعتهم للخلفاء ويطلبوا المساعدة، أما في عهد ملوك الطوائف تغير ميزان القوى، فضعفت الأندلس ورجحت كفة ممالك الشمال، فأصبح ملوك الطوائف هم من يذهبوا بسفارتهم إلى ممالك الشمال لطلب السلم والمساعدة في حروبهم ضد بعضهم وإقرار الطاعة ودفع الجزية، أما في عصري: المرابطين والموحدين فقد سيطر الطابع الحربي على العلاقات بين الجانبين فعقدوا معاهدات سلم وهدنة من الحروب.

أ) في عهد الخليفة الناص

– سفارة ملك ليون عام 323هـ/933م

طلب الملك الليوني راميرو الثاني Ramero II الصلح مع الخليفة الناصر عام 323هـ/ 934م، بعدما حاصر جنود الناصر ليون[2] أثناء غزوته وخشمة Osma 322هـ/933م[3] وترردت رسله علي الخليفة في التماسه فأرسل إليه الوزير يحي بن إسحاق وهو من أصل نصراني[4].

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، ص 20.

(2) ابن حيان: المقتبس, تحقيق شالميتا, ص 335.

(3) غزوة صائفة للخليفة الناصر عام 322هـ/933م، واستعد لها أتم وأفخم استعداد, وكان معه ولي عهده ابنه الحكم، وقرر الخليفة دخول مملكة ليون في هذه الغزوة، لكنه تراجع بسبب خلاف وقع بينه وبين محمد بن هاشم التجيبي حاكم سرقسطة وعدم لحاق التجيبي به، فوجه الناصر جيشه إلى أعمال التجيبي وافتتح عدد من حصونه. انظر: ابن حيان: المصدر السابق، ص333–334.

(4) يحي بن إسحاق: طبيب أندلسي، ابن الطبيب إسحاق النصراني النحلة، وكان يعيش في قرطبة، واعتنق يحي ابنه الإسلام، واتقن مهنة الطب علي يد والده، وعلا نجمه في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، لم يكتفي به الخليفة كطبيب، بل ولاه

إلى العاصمة الليونية مدينة ليون لإملاء شروط الخليفة الناصر علي راميرو الثاني، فوافق الملك عليها واتفق علي شروط الصلح، وبعث الملك راميرو رجاله إلى العاصمة قرطبة، وأقيمت الاحتفالات وعلقت الزينة بقرطبة، وكان من أهم شروط الصلح مقاطعة راميرو المارق محمد بن هاشم التجيبي حاكم سرقسطة[1]، إلا أن ملك ليون نقض العهد واستجار بالتجيبي وأجاره[2].

- **سفارة الخليفة الناصر وملك ليون عام 329هـ/940م :**

مال راميرو الثاني ملك ليون للصلح مع الخليفة الناصر بعد غزوة الخندق 327هـ/940م[3] بالرغم من انهزام المسلمين فيها، إلا أنه كان يعلم أن الخليفة الناصر سوف ينتقم من هزيمة المسلمين[4]، وفيها أُسِرمحمد بن هاشم التجيبي الذي كان في مقدمة قواته بالجيش الإسلامي بسبب سقوط فرسه[5]، وبعد عامين من أسر التجيبي أرسل الناصر في جمادي الآخرة عام 329هـ/940م كاتبه حسداي بن شروط اليهودي الي مملكة ليون لإتمام الصلح مع الملك راميرو الثاني ولإطلاق سراح محمد بن هاشم التجيبي حاكم مدينة سرقسطة الأسير[6] ومكث حسداي لدي راميرو لمدة سبعة أشهر ساعياً لفك أسر محمد بن هاشم التجيبي، فاستمال حسداي راميرو الذي أحبة وسمع منه وافتتن به ومال إلى مجالسه، وأنس به واستمتع بحديثه، حتي أوشك علي يطلق سراح التجيبي[7].

ولايات عديدة ووظائف هامة، فأصبح أحد وزرائه في صدر خلافته. انظر: ابن جلجل: طبقات الأطباء، ص15.

(1) ابن حيان: المقتبس: تحقيق شالميتا، ص 365 و 366.

(2) ابن حيان: المصدر السابق ، ص 379.

(3) غزوة صائفة للخليفة الناصر علي أراضي ليون، انهزم المسلمون فيها هزيمة شنعاء، فقد ضغط راميرو بجيشه على جيش الناصر فتراجع إلى خندق تردى فيه خلقاً كثيراً وهرب الناصر بجنوده.انظر: ابن حيان: المقتبس، تحقيق شالميتا، ص 435.

(4) عبد الرحمن علي الحجي: العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية خلال المدة الأموية (138–366هـ/755–976م)، المجمع الثقافي – أبوظبي، 1421هـ/2000م، ص105.

(5) الدلائلي: ترصيع الأخبار، ص 46، ابن خلدون: العبر: جـ 4، ص 183، سيمون حايك: الناصر لدين الله اول خليفة الاندلس، ط1، 1962، ص 101.

(6) ابن حيان: المقتبس، تحقيق شالميتا، ص466.

(7) ابن حيان: المصدر السابق، ص466 – 467؛ كحيلة: نصارى الأندلس، ص157.

وفي هذه الأثناء بعث محمد بن هاشم التجيبي كتاباً إلى الخليفة الناصر[1] يطلب منه أن يرسل كبار أساقفة أهل الذمة في الأندلس إلى راميرو للإتفاق معه علي فدائه، فأرسل الخليفة الناصر أسقف مدينة إشبيلية عباس بن منذر جاثليق، وأسقف مدينة بجانة Bejana[2] يعقوب بن مهران، وأسقف إلبيرة Elvira عبد الرحمن بن حسان[3]، والواضح أن التجيبي رأى أنه لا يصلح لهذه المهمة إلا النصاري المعاهدون لفك أسره، فهم أبناء دين واحد.

بعث الخليفة وفد نصارى الأندلس إلى ليون، وتم الصلح بين الخليفة الناصر وملك ليون راميرو الثاني، وبعث الأخير وفداً إلى قرطبة في هذه الأثناء فعقد الخليفة الناصر الصلح معهم في مجلسه على الشروط التي وضعها هو نفسه[4].

وفي العام التالي وصلت الأخبار إلى الخليفة الناصر بإطلاق سراح محمد بن هاشم التجيبي وقدومه إلى قرطبة ومعه الكاتب حسداي بن شبروط رسول الخليفة إلى راميرو ووفد نصاري الأندلس الذي عقد الصلح مع راميرو، وغيرهم ممن ذهبوا إلى البلاط الليوني[5].

- **سفارة الخليفة الناصر إلي مملكة أراجون :**

ومن السفارات التي شارك فيها نصارى الأندلس السفارة التي انطلقت من قرطبة وأرسلها الخليفة الناصر إلى مملكة أراجون، وكان سفيرها أسقف إشبيلية عباس بن المنذر, وكانت إلى بلاط راميرو ملك ليون[6].

- **سفارة كونت برشلونة إلي الخليفة الناصر :**

لم تكن كل السفارات المتبادلة بين الأندلس الإسلامية وممالك النصاري الشمالية لأهداف سياسية فقط، وإنما تبادلت لأهداف تجارية أيضاً، ففي عهد الخليفة الناصر أرسل كونت برشلونة أنجل Angel سفارة إلى قرطبة وطلب من الخليفة تأمين التجار النصاري من الممالك النصرانية الشمالية عند دخولهم الأراضي الإسلامية في الجنوب، وأجابه

---

(1) الدلائلي: المصدر السابق، ص46.

(2) بجانة Bejana: مدينة بالأندلس من أعمال كورة ألبيره، بينها وبين ألمرية فرسخان، وبينها وبين غرناطة ثلاثة وثلاثون فرسخ، الحموي: معجم البلدان: جـ1، ص339.

(3) ابن حيان: المصدر السابق، ص467.

(4) ابن حيان: المقتبس، تحقيق شالميتا، ص476.

(5) ابن حيان: المصدر نفسه.

(6) إبراهيم محمد آل مصطفي: سفارات الأندلس إلى ممالك أوربا المسيحية, ص150.

الخليفة إلى طلبه، وبالفعل نفذت الأوامر إلى مختلف ولاة الأعمال بسواحل الأندلس بتأمين جميع التجار القادمين من أراضي الكونت على دمائهم وأموالهم وما تحمله سفنهم وأن يتصرفوا في تجارتهم كيفما شاؤوا[1].

ب) في عهد الخليفة الحكم المستنصر

أما في عهد الخليفة الحكم المستنصر فقد شارك نصارى الأندلس بدورٍ كبيرٍ في السفارات والوفود المتبادلة، ويرجع ذلك إلى كثرة السفارات والوفود في عهده والمكانة التي وصل إليها نصارى الأندلس من ناحية أخرى.

- **سفارة ملك ليون عام 351هـ/962م**

أراد ملك ليون المخلوع أوردينو الرابع Ordino IV استعادة عرشه[2] بمساعدة الخليفة الحكم[3] وتوجه مباشرة إلى غالب الناصري حاكم الثغر الأعلي بمدينة سالم وطلب منه أن يصحبه إلى الخليفة الحكم وهذا ما حدث بالفعل[4]، وفي آخر صفر 351هـ / مارس 962م قدم أوردينو الرابع ومعه عشرين رجل[5] وكان معهم غالب الناصري، وكان يوم استقبالهم يوماً مشهوداً فاستقبلهم محمد وزياد ابنا أفلح بكتيبة من الجيش، وفي اليوم التالي تحركوا نحو قرطبة واستقبلهم هشام المصحفي على رأس قوة عسكرية، وأول ما زار أوردينو الرابع هو قبر الناصر مظهراً حزنه على فقده ورفع قلنسوته وانحنى أمام قبره زيادة في الاحترام، وأمر الحكم إنزاله في قصر الناعورة الذي تجهز لاستقباله[6] وبعد يومين استقبله الخليفة الحكم في مجلسه بالزهراء، ويصف لنا المقري استقبال أوردينو الرابع ويقول: "وقعد المستنصر بالله على سرير

---

(1) ابن حيان: المقتبس، تحقيق شالميتا، ص454–455؛ عنان: دولة الإسلام: جـ1، ص422.

(2) عاون الخليفة الناصر قبل وفاته سانشو الأول Sansho I ملك ليون (345–356هـ/956–966م) بالمال والجند على استرداد عرشه وفر أوردينو الرابع من ليون، واشترط عليه أن يهدم بعض الحصون الحدودية، ويسلم عدد آخر منها إلى المسلمين. انظر: المقري: نفح: جـ1، ص383؛ الحجي: العلاقات الدبلوماسية، ص114.

(3) المقري: المصدر السابق، ص384؛ ابن خلدون: العبر: جـ4، ص186.

(4) دوزي: المسلمون: جـ2، ص62.

(5) ابن خلدون: العبر: جـ 4، ص 186 ؛ المقري: نفح: جـ 1، ص 388 ؛ عنان: دولة الإسلام: جـ2، ق 3، ص 485.

(6) المقري: المصدر السابق، ص 389، الحجي: العلاقات الدبلوماسية، ص 116.

الملك في المجلس الشرقي من مجالس السطح، وقعد الأخوة وبنوهم والوزراء ونظراؤهم في صفٍ في المجلس فيهم القاضي منذر بن سعيد والحكام والفقهاء..." [1].

أما عن دور نصارى الأندلس في هذه السفارة، فقد حضر مجلس السفارة جماعة من أهل الذمة وحفوا بأوردينو الرابع يؤنسونه ويتحدثون إليه ومنهم وليد بن خيزران قاضي النصارى بقرطبة، وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة وغيرهما[2] ولما وصلوا إلى باب قصر الزهراء تقدم أوردينو الرابع و قوامسه علي دوابهم حتي وصلوا إلى باب السدّة فأمروا القوامسة بالترجل مشياً على الأقدام وملكهم فقط علي دابته حتي نزل بالبهو وخرج له الإذن بالدخول للخليفة، ويسهب لنا المقري في وصف دخوله علي الخليفة الحكم وخضوعه له وتقبيله ليديه حتى أخذ مكانه في مجلس الديباج المذهب المعدلة الذي يبعد عن الخليفة خمسة أمتار وقومه من خلفه بعد دخولهم وخضعوهم وتقبيلهم يد الخليفة[3].

وقام قاضي النصارى بقرطبة وليد بن خيزران بالترجمة بينهما، وافتتح الخليفة الحكم كلامه قائلاً: "ليسرك إقبالك ويغبطك تأملك، فلدينا لك من حسن ما رأينا ورحب قبولنا فوق ما قد طلبته" فلما ترجم بن خيزران فرح وجه أوردينو الرابع وقبَّل البساط وقال: "أنا عبد أمير المؤمنين مولاي، المتورك في فضلة، القاصد إلي مجده، المحكم في نفسه ورجاله، فحيث وضعني من فضله وعوضني من خدمته رجوت ان أتقدم فيه بنية صادقة ونصيحة خالصة"، فقال له الخليفة: أنت عندنا بمحل من يستحق حسن رأينا، وسينالك من تقديمنا لك وتفضيلنا إياك علي أهل ملتك ما يغبطك، وتتعرف بفضل جنوحك إلينا، واستظلالك بظل سلطاننا، فلما ترجم بن خيزران سجد له وابتهل له داعياً[4].

وشكا الخليفة الحكم من منافسه سانشو ابن عمه، وحكي له أن أباه الناصر قد نصره عليه وكيف أنه نقض العهد وما فعل به خصمه هذا، فقال له الخليفة: قد سمعنا قولك، وفهمنا مغزاك، وسوف يظهر من إقراضنا إليك على الخصوصية شأنه، ويترادف من إحساننا إليك أضعاف ما كان من أبينا – رضي الله تعالي عنه - ندَّك ، وإن كان له فضل التقدم بالجنوح إلينا والقصد إلى سلطاننا، فليس ذلك مما يؤخرك عنه، ولا

---

(1) المقري: المصدر السابق، ص 389 – 390.

(2) المقري: المصدر السابق، ص390؛ كحيلة: تاريخ نصارى الأندلس، ص159؛ ليفي بروفنسال: تاريخ اسبانيا الإسلامية، ص195.

(3) المقري: نفح: جـ1، ص390–391؛ دوزي: المسلمون: جـ2، ص62.

(4) المقري: المصدر السابق، ص391؛ الحجي: العلاقات الدبلوماسية، ص116؛ دوزي: المرجع السابق، ص62–63.

ينقصك مما أنلناك، وسنصرفك مغبوطاً إلى بلدك، ونشد أواخي ملكك ونملك جميع من أنحاش اليك من أمتك، ونعقد لك بذلك كتاباً يكون بيديك نقرر به حد ما بينك وبين ابن عمك، ونقضه عن كل ما يصرفه من البلاد إلى يديك، وسترادف عليك من أفضالنا فوق ما احتسبته، والله علي ما نقول وكيل[1].

وتعهد أوردينو الرابع إلى الحكم بمحالفة الإسلام، ومقاطعة صهره فرناندو جونثالث أمير قشتالة، وأن يقدم ابنه غرسية رهينة بصدق وفائه[2] ثم أسهب في الخضوع والشكر وأخرجوه الفتيان من المجلس وزوده الحاجب جعفر بهدايا الخليفة له والخلع التي أمر الخليفة بها له ولرجاله[3] ثم انصرف إلى قصر الرصافة الذي تجهزلهم وخرج معه وجوه نصارى الأندلس ليأكدوا الطاعة للخليفة الحكم ويحضروا رهينة[4].

وقد فرح الناس من عظمة وعزة الإسلام، وأنشدوا الأشعار لمجلس الخليفة فيقول بن سعيد المرادي:

مَلِـكُ الخِلافــة آيــةُ الإقْبــال وســعود مَوْصُــولة بتَــوالي

فَالْمسْــــــلمونَ بِعــــــزّة والمشــــــرِكونَ بذلّــــــة
وبرفْعــــــــــــــةٍ وسَــــــــــــــفاَل
أَلْقــــتْ بأيــــديهَا الأعَــــاجِمُ مُتَــــــوقّعينَ لصَــــوْلهِ
نَحْــــــــــــــوَه الَّرَئْبــــــــــــــالِ[5]

وما أن علم شانجة بما حدث ووعد الخليفة لأوردينو الرابع، فخاف من الخليفة الحكم، وسارع بإرسال سفارة إلى الحكم تضم كبار رجاله من أمراء جليقيه وسموره Zamora[6] وأساقفهم الاعتراف بالحكم الثاني

(1) المقري: نفح: جـ1، ص391–392.
(2) ابن خلدون: العبر: جـ4، ص186؛ الحجي: العلاقات الدبلوماسية، ص116.
(3) كانت دراعة منسوجة من الذهب، وبرنساً مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجواهر والياقوت. انظر: المقري: المصدر السابق، ص393.
(4) المقري: المصدر السابق، ص384؛ دوزي: المسلمون: جـ2، ص64.
(5) المقري: نفح: جـ1، ص 393 ؛ ابن عذاري: البيان: جـ 2، ص 220.
(6) سمورة: Zamora هي دار مملكة الجلالقة علي ضفة نهر كبير جداً، كثير الماء، شديد الجرية، وبينها وبينه ستون ميلاً، وهي مدينة جليلة، قاعده من قواعد الروم، وعليها سبعه اسوار من عجيب البنيان، وقد حكمتة الملوك السالفة وبين الاسوار فصلان وخنادق واودية واسعه، وهي حديثة البناء بنيت عام 288هـ، الحميري: صفه جزيرة الاندلس، ص 98 – 99.

خليفة، وتقبل الحكم بيعتهم علي شروط منها هدم الحصون والأبراج القريبة من ثغور المسلمين[1].

- **سفارة ملك ليون عام 355هـ/966م**

أرسل سانشو الأول Sansho i ملك ليون (347–356هـ/958–966م) سفارة إلى الخليفة الحكم بناءاً على طلب زوجنه تيرسا أو تيريزا Triza وأخته الراهبة إلفيرا Elvira يلتمس منه الإذن بنقل رفات القديس بلايو Playo الموجودة بالوادى الكبير إلى ليون، ووافق الخليفة ونقلت الرفات فى العام التالى بواسطة نصارى قرطبة فى حفل كبير، ووضعوه فى كنيسة أطلقوا عليها دير القديس بلايو[2].

- **سفارات مملكة ليون عام 360هـ/971م :**

توافدت العديد من سفارات الممالك النصرانية الشمالية علي الخليفة الحكم المستنصر عام 360هـ/971م، والجدير بالذكر هنا، أن هذه السفارات حضرها وجوه نصارى الأندلس كمترجمين ومصاحبين للوافدين ومنهم قاضي النصارى وأسقفهم بقرطبة عيسي بن منصور، وقومس أهل الذمة معاوية بن لب، ومطران إشبيلية عبيد الله بن قاسم[3].

ومن السفارات التي وفدت من مملكة ليون سفاره سلساً رسول أمير غرب جليقية منندو جونثالث Gonzalo Menedez، الذي وفد في رمضان 360هـ / يوليو971 م بكتاب أمره إلي الخليفة الحكم ليخبره بغزوات النورمان ومهاجمتهم وادي دويرة Dowera[4] ونواحيها وبهزيمتهم والعودة إلى بلادهم[5].

وفي شوال 360هـ/أغسطس971 م، جاء وفد رسول إلبيرة Elvira بنت راميرو الثاني الوصية علي عرش ملك راميرو الثالث Ramiro III، وجلس الخليفة الحكم في المجلس الشرقي من قصر

---

(1) المقري: المصدر السابق، ص384؛ ابن خلدون: العبر: جـ4، ص 186,187؛ الحجي: العلاقات الدبلوماسية، ص 117.

(2) عمار عبد الرحمن علي، العلاقات السياسية بين العرب المسلمين في الأندلس وممالك النصارى في الشمال (316–422هـ/928–1030م) مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، الجامعة المستنصرية كلية العلوم، العدد السادس والخمسون، ص16.

(3) ابن حيان: المقتبس, تحقيق الحجي، ص64.

(4) نهر دويرة Dowera: نهر كبير خرار كثير الماء شديد الجرية ميق القعر وعلى ضفته مدينة سمورة، بالجزء الأول من الإقليم الخامس شمال الأندلس. انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ص727.

(5) ابن حيان: المصدر السابق، ص27.

الزهراء أفخم جلوس وأتمه، شهده وزراؤه وحجبه حجابه علي عادته وقامت المراتب داخل القصر وخارجه لاستقبال رسول إلبيرة ومعه رسوله، وذكر له أحوال المملكة بعد وصاية ألبيرة علي الطفل الصغير ابن أخيها ، وأبلغه رغبة مرسلته في كسب وده وسلمه، فرد عليهم الخليفة رداً جميلاً، وحبوا بجزيل، وأوصله بالهدايا وعاد لبلاده[1].

وفي شهر ذي الحجه 360هـ/ أكتوبر971م جلس الخليفة الحكم محتفلاً بقصر الزهراء بقدوم ملح العَّباد رسول إلبيرة ويسميها ابن حيان (حلويرة) الوصية علي عرش الملك ليون راميرو الثالث، وصحبه إلى القصر عدد من وجوه نصارى قرطبة، وقاموا بالترجمة عن الرسول الليوني وله عن الخليفة، ففهم الخليفة ما أدّاه الرسول عن مرسلته فرد علية رداً جميلاً ثم انصرف الرسول الي بلاده[2].

– سفارات مملكة قشتالة عام 360هـ/971م :

ومن السفارات التي وفدت من مملكة قشتالة، في شوال /أغسطس عام 360 هـ/971م وفد غرسيه بن عتون Graces Fernandez، وجلس الخليفة الحكم في المجلس الشرقي أحوال من قصر الزهراء، وكالعادة شهدة الوزراء والحجاب والنصارى المترجمون، فذكر له الرسول بلاده وذكر للخليفة رغبة مرسله في عقد السلم معه، ورد الخليفة عليه رداً جميلاً، وأعطاه الخلع والهدايا، ثم عاد إلى بلاده[3]، وفي ذي الحجة/ أكتوبر من العام نفسه 360هـ/971م وفد خميس بن سليط رسول أمير قشتالة غارسي فرنا نديز Garces Fernandez، وكعادة الخليفة في استقبال وفوده، جلس بقصر الزهراء، وترجم له مجموعه النصارى المعاهدين، وبلغه الرسول ما أراد تبليغه له، وأجابه الخليفة في طلبه ثم عاد لبلاده[4].

– سفارات مملكة قطلونية Catalonia[5] عام 360هـ/971م :

---

(1) ابن حيان: المقتبس, تحقيق الحجي، ص242.

(2) ابن حيان: المصدر السابق، ص 63، 64.

(3)ابن حيان: المقتبس, تحقيق الحجي، ص 241 و 242.

(4)ابن حيان: المصدر السابق، ص 63 و64.

(5) قطلونيه Catalonia: مملكة نصرانية، في الركن الشمالي الشرقي من شبه الجزيرة الإيبيرية تمتد من جبال ألبرتات في الشمال إلى بلنسية في الجنوب، ومن منطقة الثغر الأعلى (سرقسطة) في الغرب إلى البحر المتوسط في الشرق، اشتراها الإفراج سنه 186هـ / 801 م، وجعلها شارمان قاعدة الثغر الاسباني، فكان كونتاتها من أصل قوطي، ولما ضعفت مملكة الفرنج وتخلفت عن حماية الثغر وامداده، شعر هؤلاء الكونتات بقوتهم واعلنوا استقلالهم انقسم الثغر الي إمارات عدة أهمها قطلونية وعاصمتها برشلونة. انظر: شكيب أرسلان: الحلل

وفد نهاية شهر شعبان 360هـ/ يونيو 971م علي الخليفة الحكم الكونت بون فلي Bonfill بن سندريط Sinderedo سفير ورسول الكونت بوريل الثاني borell II ابن سينير sonier كونت قطلونية، وقد قدم هذا إلى الخليفة في عشرين رجلاً من كبار رجال الكونت بوريل وأتباعهم وبصحبتهم رسول غيتار Guitardo نائب الكونت بوريل في ثلاثة من رجاله بكتاب غيتار إلى الخليفة الحكم، وقد أتي بهم إلى الخليفة الحكم[1]، هشام بن محمد بن عثمان صاحب الشرطة وعامل طرطوشة tortoza[2] وكورة بلنسية، عندما وصل جسر قرطبة أمر بإنزال الوفد القطلوني بمنية النصر Minat Al-Nasr[3] علي نهر الوادي الكبير فنزلوا به في حين توجه هشام بن محمد إلى مدينة الزهراء، ليُعلم الخليفة الحكم بأمرهم، فأمره الخليفة بإكرام منزلهم[4].

وفي نهاية شهر رمضان/يوليو من العام نفسه 360هـ/971م جلس لهم الخليفة علي سريره في محراب المجلس الشرقي المطل علي الجينان، جلوساً فخماً كامل الترتيب وجلس وزراؤه وحجابه ومجموعة المترجمين النصارى ومعهم هدية الكونت بوريل فقبلها الخليفة[5].

فلما تهيأ الخليفة لاستقبالهم أذن لهم بالدخول فدخلوا، وكان يتقدمهم الكونت بون فلي وعندما وصلوا إلى باب المجلس الذي به سرير الخليفة خروا ساجدين، ولما قربوا من الخليفة قبلوا يديه ثم رجعوا مدبرين لا يولون الخليفة ظهورهم، وظلوا واقفين، وسلموا الخليفة كتاب حاكمهم ومرسلهم الكونت بوريل وعن أحوال بلاده، وذكر لهم الخليفة أن للقطلونين مكانة كبيره عنده، وأنه سيكافئ حاكمهم ويجازيه عن هديته،

السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مصر، ط1، جـ2، ص99؛ رجب: العلاقات، ص138و158.

(1) ابن حيان: المقتبس: تحقيق الحجي، ص21 ؛ عنان: دولة الإسلام: جـ 2، ق3، ص 49.

(2) طرطوشة tortoza: بينها وبين بلنسية مائه وعشرون ميلاً، هي في سفح جبل، ولها سور حصين وبها أسواق وعمارات وضاع، وبها شجر الصنوبر الذي لا يوجد له مثيل في الطول والغلظ، ومنه تتخذ الصواري والقري، ولها اربعه أبواب وابوابها كلها ملبسه بالحديد ولها سور حصين، الحميري: صفه جزيره الاندلس، ص 124.

(3) منيه النصرMinat Al-Nasr: قريه بالأندلس، في شرق قرطبة، وهي مدينة فسيحة ذات مبانٍ رفيعة، والذي بناها الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط، الحميري: المصدر السابق، ص 187.

(4) ابن حيان: المصدر السابق، ص 21 ؛ الحجي: العلاقات الدبلوماسية، ص 121 و122.

(5) ابن حيان: المصدر السابق، ص22؛ ابن خلدون: العبر: جـ4، ص187.

وقال له الرسل ما عندهم، فترجم لهم المترجمون عن الخليفة إليهم وعنهم إلى الخليفة[1]، وعقد لهم الخليفة السلم وذلك نظير عدة شروط منها هدم الحصون والقلاع القريبة من الحدود الإسلامية وألَّا يساند الكونت بوريل أحداً من بني جنسه من ملوك الممالك النصرانية الأخرى ضد الخلافة الإسلامية بالأندلس وأن يحذرهم مما عزموا عليه من عدوان ضده[2] ثم انفض المجلس ورجعوا لمحل منزلهم بمنيه النصر[3].

وقال الشاعر أحمد بن إبراهيم الخازن في تهنئه الخليفة الحكم بتولي رسل الممالك النصرانية بشكل عام ورسل مملكة قطلونية بشكل خاص يقول:

ليهنك إن لم يبَق في الأرض ناكثٌ ... ولا مشركٌ إلا أتاك بلا عهد

فهذا ابن شيخٍ وهو طاغيةٌ لهم ... رأي الرشد في التحكيمِ والأمن في القصيد

وأقت يد إفرنجه وعميدها ... ولولا يدُ الإلقاء جاءك في قد

وهذا لمن في الشرق والغرب مؤذنٌ ... كما أن خطف البرق يؤذنُ بالرعد

ولم يبق إلا أن يحل بمكة ... فيطردُ عنها المستحقين للطرد[4]

وفي شهر شوال /أغسطس من العام نفسه 360هـ/971م قدم الكونت بون فلي Conte Bon File بفرسانه، وأقيمت الاحتفالات والزينة بمدينة الزهراء، وصحبهم مجموعة المترجمين النصارى، فقضوا حقهم عن مرسلهم الكونت بوريل عن كتابه، وقدم الخليفة الحكم إلى رسوله الهدايا والصلات مكافئة عن الأسري المسلمين الذين أطلق سراحهم، وأبلغهم الخليفة رسالة شفهية إلى أميرهم ويقف علي حرطاعته، ثم انصرف الرسول القطلوني برفقه رجاله، بعد أن أعطاهم الخليفة الهدايا والملابس كلاً حسب مرتبته، ثم غادروا قرطبة قاصدين بلادهم[5].

– سفارة مملكة ليون عام 363هـ/973م:

(1) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجي، ص22.
(2) ابن خلدون: العبر: جـ4، ص117.
(3) ابن حيان: المصدر السابق، ص22.
(4) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجي، ص22–23.
(5) ابن حيان: المصدر السابق، ص 182.

في شهر صفر363هـ/نوفمبر973م وفد رسل الراهبة إلبيرة الوصية علي راميرو الثالث ملك ليون وجلس الخليفة الحكم بقصر الزهراء وأحاطه الوزراء والحجاب والنصارى المستعربون ومختلف طبقات أهل الخدمة، وأقيمت المراسيم والاحتفالات وعلقت الزينة لاستقبالهم، وقد تكلم هؤلاء السفراء عن مرسلتهم بكلام بدا فيه بعض الجفاء والغلظة، قام بترجمته نصاً عنهم قاضي النصارى بقرطبة إصبغ ابن عبد الله بن نبيل، فأنكر الخليفة الكلام لفوره ونهر المترجم وأمر بإخراجهم عن مجلسه، وحمّل المترجم مسؤولية ما حدث، وأمر بعزله عن قضاء النصارى وإهانته وتعريف الرسل بسوء ما ترجمه عنهم[1] ثم استقبلهم زياد بن أفلح صاحب الخيل في بيته بدار الجند ووبخهم وأخبرهم بأنه لولا وجودهم لكونهم سفراء لعوقبوا على الفور وخص المترجم إصبغ باللوم وبأشد التهديد والوعيد لإقدامه علي سوء المخاطبة، وعّرفه بما كان قد عزم علية الخليفة فيه من أشد العقاب وتركه تأديب الرسل وتهذيب ما قالوه له من كلام، لولا ما تبعه من العفو عنه[2] ثم بعث الخليفة الحكم الفقيه أحمد بن عمروس المورواي والمترجم عبد الله بن قاسم مطران إشبيلية ومحمد بن مطرف إلى مملكة ليون رسلاً إلى الوصية إلبيرة مع رسلها المنصرفين عن قرطبة[3].

– سفارة مملكة قطلونية عام 366هـ/974م :

وفي شهر ذي القعدة /يوليو من العام 366هـ/ 976م جلس الخليفة الحكم بقصر الزهراء جلوساً فخماً وأقيمت الاستعدات والترتيبات داخل القصر وخارجه، وحاوطه وزراؤه وحجابة ومترجموه وأهل خدمته لاستقبال رسل كونت قطلونية بوريل بن سنيير غيتار Guitardo Borrll Senier حاكم مدينة برشلونة، فسلم كتاب الكونت القطلونى إلى الخليفة الذى أكد فيه الكونت صدق نيته تجاه الخليفة والتزامه بطاعته له[4].

ج) في عهد الأسرة العامرية

استمر تبادل السفارات والوفود بين الأندلس الإسلامية والممالك النصرانية الشمالية في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر وابنه عبد الملك المظفر وكانا ذا مكانة وهيبة في نفوس ملوك الشمال، فكانوا

---

(1) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجي، ص146؛ إبراهيم آل مصطفي: سفارات الاندلس، ص 150 و 151.

(2) ابن حيان: المصدر السابق، ص 147.

(3) المصدر نفسه.

(4) ابن حيان: المصدر السابق، ص182.

يحتكمون إليهم في خلافاتهم، فيقول ابن الخطيب عن المظفر "احتكم إليه ملوك النصارى فيما شجر بينهم"[1].

– **سفارة مملكة ليون وقشتالة عام 395هـ/1004م**

وفدت سفارة عام 395هـ/1004م على الحاجب عبد الملك المظفر من كونت جليقية منندو بن جونثالث Menendo Gonzale وكونت قشتالة سانشو غرسية Sansho Garces، ليحكم بينهما في الخلاف الذي وقع بينهما على وصاية عرش ليون[2].

ومما يؤكد دور نصارى الأندلس في العلاقات الإسلامية المسيحية في تلك الفترة الدور الذي قام به نصارى قرطبة في الفصل في ذلك النزاع، فقد انتدب المظفر لهذه المهمة جماعة من نصارى قرطبة على رأسهم قاضي قرطبة إصبغ بن عبد الله بن نبيل[3] ليذهبوا ويحكموا في ذلك الخلاف، وحكموا لصالح منندو كونت جليقية بأحقيته في الوصاية، وبقى منندو وصياً على الطفل حتى قتل عام 398هـ/1007م[4].

د) في عهد ملوك الطوائف

عندما انهارت الخلافة الأموية وقامت دويلات الطوائف 422هـ/1031م[5] زاد اهتمام ملوك الطوائف بالنصارى المعاهدين وإشراكهم فى سياستهم الخارجية والدبلوماسية مع ملوك النصارى على الأخص، خاصة بعد اتصالهم الدائم بملوك النصارى والاستعانة بهم وعقد الاتفاقيات معهم[6].

ويدلل على ازدياد دور النصارى في عصر الطوائف وجود مجموعة من النصارى المعاهدين في عصر المعتضد بن عباد حاكم إشبيلية (433-461هـ/1041-1068م)[7] يستعين بهم فى إدارة شئون دولته وخاصة الخارجية التى تخص ممالك الشمال النصرانى، فقد احتضن المعتضد ششندو المستعرب sisando Davids، الذى رباه المعتضد ورفع مكانته وعينه وزيراً ومستشاراً وسفيراً لبلاط قشتالة وليون وملكها فرديناند الأول ferdenand I

---

(1) ابن الخطيب: أعمال: جـ2، ص83.

(2) ابن عذارى: البيان: حـ2، ص302؛ ابن خلدون: العبر: حـ4، ص232.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ص232 ؛ ليفي بروفنسال: تاريخ اسبانيا الإسلامية، ص195.

(4) ابن عذارى: المصدر السابق، ص411؛ المقرى: نفح: حـ1، ص43.

(5) المقرى: نفح: حـ1، ص43؛ ابن عذارى: البيان: حـ2، ص411.

(6) المراكشى: المعجب، ص93؛ القلقشندى: صبح: حـ5، ص249.

(7) ابن بلقين: مذكراته، ص95 ؛ ابن بسام: الذخيرة: ق3، ص44 ؛ عنان: دولة الإسلام: حـ3 ؛ رجب عبد العليم: العلاقات، ص414و415.

(426–457هـ/1035-1065م)[1] والجدير بالذكر أن المعتضد عينه على قيادة جيش مملكة إشبيلية لإتقانه اللغة العربية وقد وصفه ابن بسام أنه (جمرة الذكاء، بعيد المذهب بين الجرأة والنكراء)[2]،واحتذى حذوه المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية (461-488هـ/1068-1095م) فى الاستعانة بالنصارى المعاهدين فى المناصب الهامة والسفارات مع ملوك النصارى، فقد قرَّب الأسقف، الإشبيلي بن المرعزى إليه وأوكله مهاماً خارجية[3].

كذلك جاءت سفارات من الممالك النصرانية تعد عقود زواجهم ومصاهرتهم بالأندلس الإسلامية، ففى عهد المنذر بن يحيى حاكم مملكة سرقسطة (403-412هـ/1012-1021م) الذى عرف بمسالمته لجيرانه النصارى وعلاقة السلام والهدوء التى سادت عهده نظم فى قصره حفلاً لعقد مصاهرة بين شانجة Changhe ملك نبرة ورامون بوريل Ramon Berengel ملك برشلونة، والجدير بالذكر لنا هنا أن هذا الحفل حضره أعيان نصارى الأندلس[4].

وفى عهد المقتدر بن هود (438-475هـ/1046-1082م) علا شأن أسقف طرطوشة أبو عامرغندى شالب وكان أديباً وشاعراً وكثيراً ما أرسله المقتدر بن هود فى مهمات سياسية لملوك الطوائف[5]، تولى غندى شالب le filsde conzalve منصب الوزارة ولقبه المقتدر بذى الوزارتين[6] واستخدمه المقتدر فى سفاراته إلى ملوك الشمال فأرسله فى عام 458هـ/1064م برسالة إلى فرديناند الأول ملك قشتالة وليون[7].

وفى عهد المؤتمن بن هود (474-478هـ/1081-1085م) كان أكبر مستشاريه السيد القمبيطور الذى كان له أثر كبير فى توجيه سياسته الخارجية ونشاطه الدبلوماسى مع ملوك النصارى خاصة مع ألفونسو السادس ملك قشتالة، حتى أصبح المؤتمن لا يقطع أمراً دون مشاورته[8].

وفى مملكة غرناطة التى كان بها أكبر عدد من النصارى المعاهدين علا شأن أبو الربيع النصرانى فى عهد باديس بن حبوس

---

(1) cagigas,op.cit,t2,p457.

(2) ابن بسام: الذخيرة: ق4، ص166.

(3) Duffourcq op cit,p175.

(4) ابن بسام: الذخيرة: ق1، ص181-182 ؛ ابن عذارى: البيان: حـ2، ص426 - 427 ؛ رجب عبد العليم: العلاقات، ص337.

(5) المقرى: نفح: حـ3، ص405، 406.

(6) Simonet, op. cit,p66.

(7) cagigas,op.cit,t2,p454.

(8) ابن بسام: الذخيرة: ق3، ص95.

واستولى على مقاليد الأمور فى عهده من أهمها سفاراته مع ملوك النصارى، وقد أشار إليه ابن بلقين بقوله ".....أرسل فى ابن الربيع النصرانى، وكان فيما مضى كاتب حشم....."[1].

ه) في عهد المرابطين والموحدين

استمر تبادل السفارات والوفود في عصر المرابطين لكن بشكل محدود[2], وقل الدور الذي قام به نصارى الأندلس في هذه السفارات ولعل سبب ذلك هو تعلم الأندلسيين وعلى رأسهم القضاه اللغة اللاتينية لغة المفاوضات، فكان الشاعر ابن زيدون معلم اللغة اللاتينية والقشتالية في بلاط المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية[3]، وصار الأندلسيون يتحدثون اللغة اللاتينية بسهولة في عصر المرابطين، حتى المختارين للسفارات والوفود كانوا ممن يتحدثون اللاتينية، والجدير بالذكر أن لغة المفاوضات كانت اللاتينية أما الرسائل المتبادلة فكانت بالعربية من جانب المرابطين للتأكيد على أصلهم العربي ودينهم الإسلامي، حتى رسالته الشفهية الشهيرة "ما سيحدث سوف تراه"، وخطاباته كانت تبدأ بالبسملة وتنتهي بالصلاة على الرسول[4].

وفي عهد الموحدين كثرت السفارات والمفاوضات بينهم وبين الممالك الشمالية النصرانية، ومما لاشك فيه أنهم احتذوا حذو المرابطين في استخدام الأندلسيين الذين تعلموا اللاتينية في سفاراتهم, وفي استخدام العربية في خطاباتهم ورسائلهم.

المصادر والمراجع:

1) إبراهيم محمد آل مصطفى: سفارات الأندلس إلى ممالك أوربا المسيحية الكاثولكية (138-422هـ /755-1031م)، مكتبة القافة الدينية ـ القاهرة، طـ1، 1434هـ/2013م.
2) ابن الخطيب: أعمال، جـ 2، ص 279؛ رجب عبدالعليم: العلاقات.
3) البخارى (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجحفى ـ ت 257 هـ /870م) صحيح البخارى، تخقيق مصطفى ديب البغاـ كتاب الجزية، دار بن كثير ـ بيروت، ط3، 1407هـ/1987م، ج3، ص1155، حديث رقم 2995.

(1) ابن بلقين: مذكراته، ص86.

(2) Hicham El Aallaoul: Les Echanges Diplomatiques enter Islam et Monde latin,Milieuxl[e]Siecle: La transation entre l'époque des Taifas et La Dynastie ALmoravide Istituto PerL'oriente,C.ANAIIONOm2008,pp249-270,p255.

(3) Hicham El Aallaoul: Les Echanges Diplomatiques,p254.

(4) Hicham El Aallaoulop.cit,p255.

4) JACKSAN GABRIA, the Making of Medival spain of European civilization library California,1970.
5) ابن دراج القسطلى ت (421هـ/1030م) - ديوان بن دراج القسطلى، تحقيق محمود على مكى، منشورات المكتب الإسلامى بدمشق، ط1، 1381هـ/1961م.
6) عبد الرحمن علي الحجي: العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية خلال المدة الأموية (138–366هـ/755–976م)، المجمع الثقافي – أبوظبي، 1421هـ/2000م.
7) عمار عبد الرحمن علي، العلاقات السياسية بين العرب المسلمين في الأندلس وممالك النصارى في الشمال (316–422هـ/928–1030م) مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، الجامعة المستنصرية كلية العلوم، العدد السادس والخمسون.
8) Hicham El Aallaoul: Les Echanges Diplomatiques enter Islam et Monde latin,MilieuxleSiecle: La transation entre l,époque des Taifas et La Dynastie ALmoravide Istituto PerL,oriente,C.ANAIIONOm2008,pp249-270,p255.